الظلم في العدل

قلما اجتمع الضدّان كما اجتمعا في القصة التالية . ويقال انها وقعت في اميركا فاوردناها عبرة وذكرى لان امثالها تقع عندنا وعند غيرنا

في سجن من سجون اميركا رجل محكوم عليهِ في قتلٍ . نادى السجان رجلاً وقال لهُ علي بنسرو كذا يريد ذلك المحكوم عليهِ . فذهب الرجل وعاد بكهل قضى في السجن اكثر من عشرين سنة فشيبتهُ الليالي واتحلت جسمهُ الاسقام. فوضع السجان يدهُ على كتفهِ واذن منهُ كرسيًّا وقال لهُ اجلس. عندي لك بشرى تسرُّك فقد مات رجل في سجن جيورجيا وقبلما اسلم الروح اعترف انهُ هو قاتل الرجل الذي اتُّهمت انت بقتله وشرح كيف قتلهُ . وقد ثبت بعد البحث والتحري ان اعترافهُ صحيح وهنا المستندات التي تؤيد ذلك. قتلهُ هو ورجل آخر منذ اثنتين وعشرين سنة وقد مات شريكهُ في الجريمة قبلهُ لكنهما تمكنا من النجاة حين قتلاهُ واخذت انت بجريرتهما خطأً لانك ارشدت الى القتيل ولم تستطع ان تبرىء نفسك . وقد نظر مجلس العفو في امرك فعفا عنك ولا حق للحكومة بعد الآن ان تبقيك في سجنها

اسم هذا الرجل جون كليفن. فخرج من السجن وكان الفصل شتاء ورقع الثلج تتساقط من الجو فتعبث بها الرياح وهو نحيف الجسم مضيّع الافكار وكان السجان اعطاهُ عشرة ريالات كرماً منهُ فدفع منها اجرة سكة الحديد الى المدينة التي كان بيتهُ فيها. وكان في صناعتهِ مهندساً ميكانيكيًّا ولهُ دكان فيهِ الآلات التي يبيعها فلما وصل الى المدينة تفقّد خطواتهِ الى حيث كان دكانهُ فوجد هناك معملاً كبيراً جدًّا بدل دكانهِ فوقف حائراً في امرهِ وقرأ اسم المعمل فاذا هو لبرتول واولادهِ فانثنى رأسهُ وسار الى حيث كان بيتهُ وكان قد ترك فيهِ زوجتهُ وابنتهُ فوجد انهُ صار نزلاً فيهِ غرف للتأجير فدخلهُ واستأجر غرفةً فيهِ واذا هي الغرفة التي كان ينام فيها والى جانبها الغرفة التي كانت لزوجتهِ . ثم عرف ان زوجتهُ حاولت الاحتفاظ بدكانهِ وبيتهِ بعد سجنهِ ولكن ركبها الدين فاضطرت ان تبيع الاثنين وتوفيت وتركت ابنتها لرحمة الذين يعنون بالمفطومين

وقام في اليوم التالي يفتش عن عمل يعمل بهِ . وهو يحسب انهُ لا يستطيع ان يعمل كمهندس ميكانيكي لان هذا الفن تقدم كثيراً مدة الاثنتين والعشرين سنة التي

قضاها في السجن وقد نسي اكثر ما كان يعلمهُ من اصول الهندسة لان العمل الذي اعطيهُ في السجن وهو نسج الحصر يشغل بهِ العقل مهما كان ذكيًّا وزد على ذلك انهُ شاخ وضعف وخارت قواهُ. فقصد معملاً ظن انهُ يستطيع ان يجد فيهِ عملاً ولما سئل عن ماضيهِ ذكر انهُ سجن خطأً ثم أُطلق سبيلهُ فقال لهُ مدير المعمل ان كل الذين كانوا ملائكة قد سجنوا خطأً فلا عمل لك عندي.

فخطر لهُ ان يذهب الى الذين كان على معرفة تامة بهم قبلما سُجن وبعضهم من اعز اصدقائهِ فقصدهم واحداً بعد الآخر فلم يجد منهم الاَّ الجفاء وان تلطفوا فالاعتذار بالاسف. واخيراً ذهب الى عمٍ كان صديقاً لهُ فوجدهُ غائباً سافر طلباً للصحة فأُسقط في يدهِ وضاقت الدنيا في عينيهِ لان النقود القليلة التي اعطاهُ اياها السجان كادت تنفد ولكنهُ اكتشف حينئذٍ ابنتهُ واسمها جنة وقد صارت صبية وهي في محل تجاري كاتبةً وهناك شاب اسمهُ بولدن احبها واراد ان يقترن بها فامتنعت لسبب يجهلهُ وكان هذا الشاب مخبراً لجريدة المورننج تلغراف وهي من الجرائد ذات الشأن فلما رأى ابوها وعلم انهُ سُجن اثنتين وعشرين سنة خطأً استقصّ القصة منهُ وكان من مهرة الكتّاب يصوّر الحوادث فيها يكتب تصويراً يختلب الالباب فكتب هذه القصة على اسلوب يحرك الاشجان فلما اطلع عليها صاحب الجريدة واسمهُ ما كندس وكان قد اشتراها لغرض سياسي ضد الحكومة ارتاعت امرتهُ ونهض والتفت الى رئيس التحرير وهو يقول ما شاء الله انظر فضائح الحكومة انظر ما يفعلون انشرها انشرها في صدر الجريدة انشرها تحت عنوان « فضائح » هذه بلاد الدستور بلاد العدل ويُظلم الناس فيها هذا الظلم الفاحش. انشرها بحروف كبيرة في اظهر مكان من الجريدة

فنشرت القصة كما كتبها بولدن ولم تكد تخرج من المطبعة وتنتشر في البلاد حتى قام لها الناس وقعدوا وكثر التحدث بها. اما بولدن فوضع نسخة منها في جيبهِ واسرع بها الى جنة فرأى ان ابوها خرج من البيت واخذ امتعتهُ اما هي فكانت جالسة في غرفتها تبكي فانها قرأت قصة ابيها في الجريدة فكادت نفسها تطير شعاعاً. ولما وصل بولدن توسلت اليهِ ان يزيدها شرحاً وبياناً فقال سأفعل فقالت ولكن عليك ان تذهب وتعود بأبي فقال الى اين ذهب فقالت انهُ عاد الى السجن الذي خرج منهُ لانهُ وجد ان المدينة لا تصلح لهُ. الم تعطهِ امس خمسة ريالات فهي اجرة السفر الى السجن وقد اخذها لهذا الغرض فصار عليك ان تذهب وتعود بهِ

فقام في الصباح وقصد السجن فلقيهُ السجان عند الباب وقال لهُ ان كليتن اتى امس طالباً العودة الى السجن فلم نرَ كيف يجوز لنا ان نجيب طلبهُ ولكن الحكومة مدينة لهُ فعلاً بعد ان سجنتهُ ومنعتهُ عن الاكتساب اثنتين وعشرين سنة . وكنت انا غائبا فابى وكيل ادخالهُ السجن فعاد على طيتهِ. فقال بولدن ألا يخطر ببالك الى اين يحتمل ان يكون قد ذهب

فقال ان مَن كان في حالتهِ وقد تولاهُ القنوط فالمرجح انهُ يذهب الى حيث لا يعود ولكن يحتمل ان يخطر ببالهِ ان لهُ رزقاً ولا بدَّ من طلبهِ باية وسيلة كانت ولو افضى بهِ ذلك الى دخول السجن ثانية وكثيرون يفعلون ذلك

اما بولدن فكان صحافيًّا ماهراً يعرف كيف يجد ضالتهُ فنفش عن كليتن في المستشفيات ومراكز البوليس واماكن عرض الفرق واستعان بكثيرين من اخوانهِ فلم يعثر عليهِ لكنهُ لم يقنط بل ظل يفتش الى ان لقيهُ هائماً على وجههِ في طريق منفرد فامسك بهِ وارجعهُ الى بيتهِ وهو على تلك الحال والظاهر انهُ لم يعرف مَن هو الذي ارجعهُ

وفي مساء اليوم التالي اخبر حنة بالحالة التي وجد ابأها فيها وكيف انهُ لم يعرفهُ فطلبت منهُ ان يذهب بها اليهِ فلم يشأ اشفاقاً عليها فقالت لا بد من اراءهِ فانهُ مهما كانت حالتهُ فهو ابي. ثم قصَّت عليهِ قصتها كيف وُضعت في ملجإ المنقطعات وكيف كان سائر البنات يتجنبنها لان اباها قاتل وذات يوم اتى بعض الزوار وشاهدوا البنات والتفت اليها رجل على انفراد واعطاها خمسة ريالات وكان عمرها حينئذٍ اثنتي عشرة سنة فحسبت انها صارت من اغنى البنات وهربت تلك الليلة من الملجإ. قالت « ولا ادري ماذا كان يمكن ان يحل بي لو لم تجدني مسز رندل وهي امرأة دينة فاخذتني وادركت حالاً سبب كرهي لملجإ المنقطعين فلم اخبرها شيئاً عن ابي بل قلت لها ان ليس لي قريب ولا احد الجأ اليهِ وان اسمي حنة اغدن. واغدن اسم عائلة امي ولم اخبرها باسم عائلة ابي لاني لم اكن اشك في انهُ قاتل وهذا هو السبب الذي حملني ارفض الاقتران بك. اما تلك السيدة الفاضلة فوضعتني في بيت احسبهُ الآن مثل بيتي»

ولما وصلت الى هذا الحد من قصتها كانا قد وصلا الى البيت الذي فيهِ ابوها فقال لها بولدن حسبي الآن وقرع باب الغرفة التي فيها ابوها فلم يسمع مجيباً ففتح الباب واذا بابيها جالس امام النار ذاهلاً كأنهُ في غيبوبة

ولما ذهب بولدن في الصباح التالي الى ادارة الجريدة وجد ما لم يكن ينتظرهُ مئات

من التلغرافات والرسائل وفيها كلها السخط الشديد على الحكومة لسجنها كليتن وهو بريء وفي بعضها تحاويل مالية لهُ فقال لهُ ماكندس صاحب الجريدة هوذا المحامي باغلي فاخبرهُ بكل ما تعرفهُ من قصة كليتن . وكان باغلي هذا من اشهر المحامين وافواهم حجة وارقهم قلباً وهو الذي قصدهُ كليتن فلم يجدهُ فقص عليهِ بولدن القصة من اولها الى آخرها على اسلوب يحرك الاشجان ولما أتمها قال ماكندس للمحامي اماً من سبيل لمداناة الحكومة وجعلها تكافيء كليتن عمَّا الحقت بهِ من الضرر . فقال كلاَّ ما من حكومة في الارض تفعل ذلك . هذا ظلم قديم في العدل ولا حيلة لنا فيهِ ولكن قد يمكن ان نفعل شيئاً

فقال ماكندس ان هذه القضية قد حركت الرأي العام والرأي العام اليد الطولى في كل المسائل العمومية ونحن امة تحب العدل والانصاف . فكل وسيلة تتخذ لمحو هذا الظلم تقع احسن موقع من الرأي العام فاذا وجدت لذلك سبيلاً قانونيًّا فاننا نعضدك بكل جهدنا

هنا رجلان باغلي محام شهير كبير النفوذ وماكندس سياسي قدير وعلى ثروة طائلة وفي يدهِ جريدة كبيرة الشأن ولكن ايقدر هذان الرجلان ان يصلحا ما افسدهُ الدهر ويلزم الحكومة ان تعترف بخطإها وتصلحهُ

مرَّت الاسابيع وعادت حنَّة الى البيت الذي ولدت فيهِ واقامت في الغرفة التي كانت لامها . وبقيت مصرَّة على رفضها الاقتران ببولدن

وذات يوم جاء المحامي باغلي وطلب من حنَّة وابيها ان يكونا على استعداد للسفر معهُ صباح اليوم التالي . فقالت حنَّة انها لا تستطيع ما لم تستأذن الرجل الذي هي كاتبة (سكرتيرة) عندهُ فقال المحامي انا استأذنهُ لك . وجاء في الصباح واركبهما معهُ في اتوموبيلهِ واخذ بولدن ايضاً وساروا الى ان بلغوا مدينة وشنطون عصر النهار . وفي اليوم التالي صمع كليتن المحامي يقول بصوت جلي رزين « ايها السادة اعضاء مجلس العفو هذا هو جون كليتن الذي اذنتم لي في احضاره الى هنا وهذه هي ابنتهُ . والآن ياكليتن ان وكيل الوالي وسائر الاعضاء طلبوا ان يسمعوا قصتك من فمك فقصها عليهم »

فكان هذا الطلب مثل سحر ازال الغشاوة عن عيني كليتن والضباب الذي يغشي ذاكرتهُ فاندفع يسرد سيرة حياتهِ ذاكراً المخترعات التي اخترعها

واحوال عائلته قبلما حُكم عليه وما لقيهُ في السجن وما حلّ بزوجته وابنته بعدهُ على ما بلغهُ. فاصغى الاعضاء اليه الى ان اتمّ حديثهُ ثم اشار الرئيس الى باغلي فامسك بيد كليتن وسار به الى غرفة اخرى حيث كان بولدن في انتظارهم وهو على مثل جمر الغضا وعاد المحامي الى المجلس وبعد ساعة زمانية رجع اليهم وقادهم الى غرفة اخرى فيها رجل شيخ كلل الشيب رأسهُ فامسك بيد كليتن وقال اهذا هو جون كليتن . فقال باغلي نعم ياحضرة الوالي وهذه ابنتهُ وهذا بولدن الذي نشر قصتهُ في طول البلاد وعرضها بقلمه البليغ

فقال الوالي مخاطباً كليتن لقد اصابك ايها الرجل ضرر كبير وليس في طاقتنا ان نصلح كل ما فات ولكننا نستطيع ان نعيضك بعض الشيء فان حكومة هذه الولاية قد وضعت في يد مجلس العفو مبلغاً من المال وفوضت انفاقهُ في السبيل الذي يراهُ اذا ايّد الوالي ذلك . فقرر المجلس اليوم بالاجماع ان يعطيك خمسة وعشرين الف ريال بدل ما خسرتهُ مدة اقامتك في السجن ظلماً وانا مسرور لانني خُوّلت تأييد هذا القرار

ثم افاض في كلام التعزية والتشجيع قائلاً ان الحكومة التي اتهمتك خطأً وحكمت عليك ظلماً اطلقت سبيلك حالما اكتشفت خطأها وسعت ان تعوضك عما اصابك من الضرر بسببها وبسلها هذا نحت ما اصابك من العار بين قومك

فانتعشت روح كليتن من تلك الساعة وكانت حنّة قد وضعت يدها في يد ابيها فوضعت يدها الاخرى في يد بولدن حينئذٍ وانتبه الوالي الى ذلك فابتسم وهنأها وقال المحامي واهنئك انت ايضاً لانك لا تزال المحامي الذي الفوز حليفهُ دائماً

انتهت القصة والمرجح انها موضوعة ولكن ما اكثر امثالها . وقد يكون لها امثال في هذا القطر الآن وغرضنا من ايرادها ان تهتم الحكومة المصرية باطلاق الابرياء من ابنائها المسجونين ظلماً ومعاملتهم بكرمها وجبذا لو فعلت ذلك الحكومة السورية وكل الحكومات . بل جبذا لو تهتم نوابنا المحترمون واصلحوا قوانينهم وعدوا حكوماتهم مسؤولة عما تفعلهُ برعاياها اذا اخطأت في فعلها مسؤولة جنائياً ومدنياً فان القاضي مأجور لاكتشاف العدل والحكم به فاذا اخطأ في اكتشافه او في حكمه فشأنهُ شأن كل من يناط به عمل ولا يحسن القيام به او يعمل عملاً منهُ خسارة مالية والعامل مسؤول عن عمله